مقـــدمة وتصـــدير

تلقيت فى فبراير من عام ١٩٨٠ دعوة من مركز الخدمة الاجتماعية بطنطا التابع لوزارة الشئون الاجتماعية ، والذى تشرف عليه فنيا جامعة كارولينا الشمالية ، لالقاء ثلاث محاضرات على الدارسين فى دورة مشروع الخدمة الاجتماعية المتكاملة (الدورة الأولى) • وقد مثل دارسو هذه الدورة مجموعة من العاملين فى ميدان العمل الاجتماعى ، أوفد من بينهم ـ كما كان مقدرا ـ عدد الى جامعة كارولينا الشمالية لاستكمال تدريبهم فى مجال الخدمة الاجتماعية هنـــاك •

وتضمنت الدعوة فيمـا تضمنته أن يتجه موضوع المحاضرات الثلاث الى هدف محدد ، ألا وهو مساعدة الدارسين على الاحاطة ببعض مبـادىء السلوك البشرى ذات الاتصال بمجال عملهم ، مع ابراز كيفية الاستفادة منها فيما يواجهونه من مشكلات •

وأمام هذا التحديد العام للهدف المرجو من المحاضرات الثلاث كان من الضرورى الانتقاء من بين موضوعات علم النفس ما يمكن عمليا من تحقيق هذا الهدف ، وقد تم ذلك بالفعل •• حيث كان للمحاضرات من علم النفس الاجتماعى معالم الاطار ، ومن التفاعل الاجتماعى مضامين العناصر •

ولم يكن غريبا ان يأتى اختيارى لها على هذا النحو ، وذلك لاعتبارات عدة من أهمها :

١ ـ أن التفاعل الاجتماعى هو موضوع لابد وان يمثل أهمية للعاملين فى ميدان العمل الاجتماعى • فالعمل الاجتماعى من ألفه الى يائه هو ممارسة لهذا التفاعل بصورة أو بأخـرى • ومن ثم كان من المحال أن تخلو دورة تدريبية كهذه من منظور علم النفس الاجتماعى فى التفاعل الاجتماعى وعناصره ومقوماته السوية وغير السوية •

٢ ـ أن الجل الأعظم من مضامين هذه الدورة ، كما كشف عنه استقراؤنا المبدئى لمحتواها قبيل تحديدنا لموضوع محاضراتنا الثلاث ، قد عكس اهتماما واضحا بهذا الموضوع عينه من جانب أولئك الذين شاركوا فى هذه الدورة من التخصصات الأخرى • ولذا فان تناولا له من جانبنا وبمنظورنا السيكولوجى فيه •• ارتأيناه كفيلا بتوفير نظرة شمولية للدراس فيما يتلقاه •

٣ ـ أن موضوع التفاعل الاجتماعى هو واحد من الموضوعات التى يدرسها طلاب أقسام الاجتماع فى سنوات دراستهم الجامعية •• ويقوم كاتب هذه السطور فى جامعته بتدريسه لهم بالفعل • ومن ثم فان تناولا لهذا الموضوع من جديد بعد تجاوز مرحلة التلقى والاعداد الأكاديمى الى مرحلة التوظيف والمواجهة العملية انما يقيم التلاقى بين المرحلتين،ولصالحيهما معا • فمن شان هذا التلاقى أن يغذى المادة الأكاديمية بالخبرة العملية ، كما يثرى الخبرة العملية بالتناول العلمى •

وقد اتت الخبرة بما توقعناه منها •• حيث فرضت مشكلات التفـــاعل الاجتماعى نفسها على الدارسين فى لقائى بهم • وهو أمر حدا بالقائمين فنيا على أمر مشروع الخدمات الاجتماعية المتكاملة بوزارة الشئون الاجتماعية ـ

اثر انعقاد مؤتمر التدريب الخاص بالتنمية الاجتماعية فى أبريل من عام ١٩٨٠ والذى أريد من خلاله القيام بعملية تقييم للدورة التدريبية وما أسهمت به ـ أن يطلبوا منى اعداد مادة علمية تبقى فى متناول من يأتون الى دورات تدريبية مماثلة ٠ واستجبت بالموافقة المبدئية الى مطلبهم ٠

وما أن شرعت فى القيام بهذا حتى وجدت نفسى ممهلا له الى حين عودتى من مهمة علمية أوفدت فيها الى انجلترا ٠ وكان القصد من هذا أن اتيح لنفسى فرصة الاطلاع على محاولات مماثلة فى الجهة الموفد اليها ٠

وقد أتاحت لى بالفعل هذه المهمة العلمية خبرتين كان لهما تاثيرهما البين فيما ضمنته صفحات هذا الكتاب من مادة علمية ٠ واولى هاتين الخبرتين هى خبرة المعايشة والممارسة لكيفية تحليل المشكلات وكيفية معالجتها سلوكيا ٠ وهى خبرة أتيحت لى من خلال ممارسة العمل الاكلينيكى بمستشفى وبثنجتون الجامعى مع الأستاذ الدكتور بيتش H.R. Beech أستاذ ورئيس قسم علم النفس الاكلينيكى بالمستشفى المذكور التابع لجامعة مانشستر ٠ ونمثلت الخبرة الثانية فى اللقاء بعدد من أساتذة علم النفس فى جامعة مانشستر ممن كانت لهم اسهامات واضحة فى اعداد المادة السيكولوجية للاخصائيين الاجتماعيين ٠ وأخص بالذكر من هؤلاء الدكتور بيرنز R.E. Burns كبير الاخصائيين النفسيين الاكلينيكيين ومدير قسم علم النفس الاكلينيكى بمستشفى بيرتش هل Birchill ، الذى اتاح لى فرصة الاطلاع على المنهج الدراسى الذى اعد كاحد مقتضيات الحصول على احدى شهادات التخصص فى العمل الاجتماعى والمسماة

Polytechnic Certificate in Advanced Social Work

والتى تمنحها كلية دراسات المجتمعات المحلية
Faculty of Community Studies

وكان من نتيجة هاتين الخبرتين أن استبان لى عدد من الحقائق لزاما على من يعد مادة علمية معينة لممارسى مهنة العمل الاجتماعى ، لا تدخل فى نطاق تخصصهم الدقيق ، أن يأخذه بعين الاعتبار • ولعل من أهم هذه الحقائق ما يلى :

١ ـ أن العمل الاجتماعى قد نما ومازال ينمو فى السنوات الأخيرة نموا سريعا ، واتسع ومازال يتسع نطاقه اتساعا واضحا بحيث بات ضروريا لممارسيه أن يلموا بين الحين والحين بكل ما هو جديد فى مجالهم عن طريق تنظيم دورات تدريبية توفر لهـا المـادة العلمية اللازمة ، سواء انتظمت هذه المـادة فى نطاق التخصص الدقيق أو انتظمت فى نطـــاق التخصصات المعينـــة •

٢ ـ ان الخدمة التطبيقية فى ميدان العمل الاجتماعى ـ وشأنهـا فى ذلك شأن الخدمات التطبيقية فى الميادين الأخرى ـ قد ازدادت الحاجة اليها فى نطـاق المجتمعات المحلية Communities وبصورة لاتخطئها عين ـ وازدادت معها بالتالى الحاجة الى تنمية المهارات اللازمة للممارسة المهنية الفعالة • وهو أمر يقضى بضرورة ألا تتجه الدورات التدريبية الى تزويد الممارسين المهنيين بالمعلومات الحديثة فحسب ، بل عليها أن تتجه أيضا الى تنمية المهارات وصقلها •

٣ ـ ان السنوات الحديثة قد شهدت نموا مطردا فى ازدياد الحاجة الى

تلاقى التخصصات المختلفة حتى تزداد كفاءة الممارسة التطبيقية لتخصص معين ٠٠ لاسيما تلك التخصصات ذات الصلة الوثيقة ببعضها البعض كما هو الحال بالنسبة لعلمى الاجتماع والنفس ٠ فقد بات بديهيا أن يكون فى اتصال هذين التخصصين ببعضهما البعض ما يمكن أن يحقق الثراء لكلاهما ، وأن يكون فى اتصالهما أيضا ما يمكن أن يحقق الكفاءة لممارسيهما فى تقديم الخدمات التطبيقية ٠

٤ ــ ان الاحساس بضرورة تنمية مهارات الممارسة المهنية وصقلها ، الى جانب التزويد بالمعلومات عند تنظيم الدورات والبرامج التدريبية قد فرض شكلا جديدا من أشكال تقديم المادة العلمية فى هذه الدورات ، خاصة اذا كانت هذه المادة يكتبها متخصص الى ممارس لتخصص مختلف ٠ ويتمثل هذا الشكل فى طرح المادة بشكل يكفل للدارس الممارس يسرا فى الاستيعاب ومطاوعة فى التوظيف ٠ ومن أهم ملامح هذا الشكل الجديد التأكيد على ضرورة اعطاء الأمثلة الايضاحية ودراسة الحالة وتمكين الدارس من ان يعايش المادة عند تقديمها من خلال اعطاء فرصة تبين معانيها ومتضمناتها فى حياته الخاصة والمهنية ٠

٥ ــ ان القادمين الى الدورات التدريبية عادة ما يمثلون افرادا ذوى خبرات مختلفة بحكم اختلاف ميادين عمل التخصص الواحد ، كما انهم يمثلون أحيانا افرادا ذوى خلفيات تعليمية مختلفة اما بحكم اختلاف نوعية الدراسة ومستواها أو اختلاف سنوات التخرج ٠ وهو أمر يجعل امكانية التباين فى مستويات الدارسين من الأمور غير المستبعدة ، كما يجعل بالتالى ضرورة المخاطبة المفهومة لهؤلاء الدارسين على اختلافهم من الأمور المحتمة ٠٠ خاصة اذا كان المخاطِب والمخاطَب يمثلان تخصصين مختلفين ٠ واحدى

الوسائل التى يتم بها ذلك هى أن تكون المادة العلمية عند اختيارها مرشدة باحتياجات الدراسين وما يواجهونه من مشكلات ، وأن تكون عند تقديمها مصاغة بصورة تكفل الاستيعاب الجيد والتوظيف الأفضل ٠

وقد تشكل العمل الحالى على محاور هذه الحقائق الخمس ـ حيث أنكت الثلاث الأولى منها من دواعى ومبررات القيام به ، ومن ثم حماسة كاتب هذه السطور فى الاقدام عليه والانتهاء منه ، بينما حددت الحقيقتان الأخريان، الرابعة والخامسة ، مضمون العمل وشكل تقديمه ٠

ويقع هذا العمل فى عشرة فصول ، شغلنا للسبعة الأولى منها أن تنتظم فى جزء مستقل نظرا لطبيعتها التكاملية ٠ فهذه الفصول السبعة انما تختص على التوالى بكيفية تحديد المشكلات وكيفية تحليلها وما هية السبل التى يمكن عن طريقها ايجاد حلول ملائمة لها ٠ ولذا فقد جاء كل فصل لاحق من هذه الفصول السبعة باجابة على سؤال أنهى به فصل يسبقه ٠ وهو أمر يملى علينا فى هذا السياق توصية بأن يكون اطلاع قارئى الفصول السبعة الأولى على نحو ما تتابعت به ٠

وجدير بالذكر أن مضامين هذه الفصول السبعة قد كتبت من وحى خبرة المعايشة والممارسة الاكلينيكية لكاتب هذه السطور أكثر من مجرد اعتمادها على القراءة النظرية لمصادرها الموثقة لها ٠ وأكثر الفصول السبعة تجسيما لهذه الحقيقة هو الفصل الثانى الخاص بتحليل المشكلة ٠ فمادة هذا الفصل انما تحوى أساليب العمل للعاملين فى مجال تعديل السلوك بانجلترا والتى اشتقوها من منهج فردريك هـ ٠ كانفر ـ أستاذ علم النفس بجامعة سينسيناتى بالولايات المتحدة الأمريكية ـ فى تحليل السلوك ٠ ولذا فان

مادة الفصل الثانى انما تاتى ـ اذا ما ضوهيت بمقالة كانفر فى هذا الصدد ـ أقرب الى الترجمة منها الى التأليف • وقد قصدنا من هذا أن نسطر خبرتنا فيه دون تعديل الا فى أضيق نطاق حتى نصل بين أساسيات العمل فى المجتمع الخارجى وأساسياته فى مجتمعنا المحلى •

ونظرا لتكاملية هذه الفصول واستنادها فى المقام الأول الى خبرة الممارسه، فقد آثرنا أن تاتى مراجع هذه الفصول فى نهاية الجزء الأول الذى احتواها ، وبغرض محدد هو ان يمكن القارىء من أن يجد طريقه الى مصادر الخبرة اذا ما أراد •

أما فيما يتعلق بالفصول الثلاثة الأخيرة : الثامن والتاسع والعاشر ، فهى وان كانت تشكل مع سابقتها سياقا واحدا •• فانها بحكم وقوفها كفصول ايضاحية لبعض الجوانب أو المفاهيم السيكولوجية المعينة على استيعاب مضامين الفصول السبعة الأولى يمكن للقارىء أن يتناول كلا منها مستقلا عن غيره ـ فليس ضروريا أن تسبق قراءته لفصل ما قراءة ما يسبقه من فصول ، أو أن تلحق قراءته له بقراءة ما يليه •

هذا وتجدر الاشارة الى أن الفصل الثامن قد اختص بوظيفة محددة وهى القاء الضوء على طبيعة الفروق بين الجنسين والكشف عن الدور الذى يلعبه التنميط الحضارى للعلاقات فيما بينهما الى حد يقلل فى احيان كثيرة من درجة تفاعلهما الايجابى • ومرادنا من ذلك أن نتيح للجنسين فرصة النظر فى الاتجاهات غير المنطقية لدى كل منهما حيال الآخر •

وقد اختص الفصل التاسع بالقاء الضوء على بعض مبادىء التعلم

ومفاهيمه ٠٠ حيث ارتأينا فى وجود مادة هذا الفصل أساسا ينبنى عليه تناولنا لموضوع التنشئة الاجتماعية الذى اختص بمادته الفصل العاشر ٠ كما ارتأينا فى التناول الايضاحى لموضوعى التعلم والتنشئة الاجتماعية امرا ضروريا لا غنى عنه لمعالجة سلوكية لمشكلات التفاعل الاجتماعى كالمعالجة الحالية ٠ فالتفاعل الاجتماعى فى مظاهره السوية وغير السوية تحدده الى حد كبير خبرات التعلم والتنشئة الاجتماعية ٠

واذ نسطر هنا فى عجالة محتوى هذا العمل وكيف نبتت فكرته ونمت ، واذ نسجل أيضا مغزاه وما نصبو اليه من خلاله ٠٠ لا يفوتنى هنا أيضا ان أسجل عرفانى وتقديرى لمن أتاحوا أو يسروا لى مهمة القيام به ٠ وأخص بالتقدير والعرفان أول ما أخص أستاذى الدكتور / مصطفى سويف أستاذ ورئيس قسم علم النفس بجامعة القاهرة والذى بعونه أتيحت لى مهمة السفر الى انجلترا ، وبفضله وتوجيهه أذكى اهتمامى بعبور الحدود الأكاديمية الفاصلة بطريقة تعسفية بين علم النفس الاجتماعى وعلم النفس الاكلينيكى الى أن صارت تطبيقات علم النفس الاجتماعى فى المجال الاكلينيكى والاستفادة من الخبرات الاكلينيكية فى ميدان التفاعل الاجتماعى تحتل كموضوع اهتمام حيزا واضحا فى وجدانى كباحث ٠

كما أتوجه بالشكر الى أستاذى وصديقى الدكتور / بيتش أستاذ ورئيس قسم علم النفس الاكلينيكى بجامعة مانشستر على ما أتاحه لى باخلاص العالم وأريحيه الانسان من خبرة الممارسة الاكلينيكية الناجحة تحت اشرافه ٠٠ وما قدمه لى من تشجيع وتدعيم صادق اثر طرحى عليه فكرة هذا العمل وصورة تقديمه ، فقد يسر لى كل السبل كى ترى فكرتى النور فمكننى بكل الصدق والتفانى من فتح نوافذ الالتقاء مع كثير من

أساتذة علم النفس بجامعة مانشستر ، والذين كانت توجيهاتهم وأفكارهم معينة لى كل العون فى قيامى بالعمل الحالى ٠

ولا يسعنى أيضا فى هذا المقام الا أن أسجل شكرى الى الأستاذ روجر هارديستر Roger A. Hardister بجامعة كارولينا الشمالية على حثه اياى لاعداد مادة هذا الكتاب وعلى اسهامه الايجابى بالنقاش فيما كنت اكتبه ٠

المؤلف

القاهـــــرة فى يونية ١٩٨٢